The Concept of Resistance according to Giorgio Agamben

Dr. Hala Ali [*]
Dr. Jalal Badlh [**]
Mohsen Almohammad [***]

(Received 1 / 4 / 2024. Accepted 10 / 6 / 2024)

□ ABSTRACT □

This paper seeks to identify the philosophical foundations of the concept of resistance and its forms according to the Italian philosopher Giorgio Agamben. Because this requires first identifying the forces that resistance must confront, the paper concerns initially with clarifying the concept of apparatus according to Agamben, which the resistance that he establishes aims to confront. After that, the paper begins to clarify the basis on which the concept of resistance is based, which is the concept of potentiality, especially the Potentiality-not-to do (impotentiality). Agamben thought about the basic relationship between potentiality and impotentiality according to Aristotle and his commentators. He produced the concept of inoperativity. From all of these concepts emerged the concept of resistance as an opposition to internal and external forces that work to disrupt the capitalist apparatuses that aim to capture, stereotype, regulate and control human beings, and which seek to prevent people and their ability to act and not to act, especially preventing the latter because it thus paralyzes the ability to resist and frustrates its emergence. In the final analysis, according to Agamben, resistance seeks to restore the inherent dimension of the human being that distinguishes him from the rest of beings, which is the dimension of potentiality, especially in its form of the ability to not act.

Keywords: Agamben - Resistance – Potentiality – impotentiality - Potential-not-to do – Inoperative (Deactivation) – Apparatus**.**

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Associate Professor - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Lattakia – Syria.**
[**] **Associate Professor - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Lattakia – Syria.**
[***] **PhD student - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Lattakia - Syria.**

مفهوم المقاومة عند جورجيو أغامبين

د. هلا علي*
د. جلال بدلة **
محسن المحمد ***

(تاريخ الإيداع 1 / 4 / 2024. قبل للنشر في 10 / 6 / 2024)

□ ملخّص □

يسعى هذا البحث إلى تحديد الأسس الفلسفية لمفهوم المقاومة وأشكالها عند الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين. ولأن ذلك يتطلب أولاً تحديد القوى التي يجب أن تواجهها المقاومة، يُعنى البحث بداية بتوضيح مفهوم الجهاز عند أغامبين، وبعد ذلك يتابع البحث لتوضيح الأساس الذي يرتكز عليه مفهوم المقاومة وهو مفهوم الإمكان وخاصة الإمكان على عدم الفعل (عدم الإمكان). إنّ تفكّر أغامبين في العلاقة الأساسية بين الإمكان وعدم الإمكان عند أرسطو وشرّاحه أنتج مفهوم التعطيل، ومن هذه المفاهيم كلها نشأ مفهوم المقاومة بوصفها معارضة لقوى داخلية وخارجية تعمل على تعطيل الأجهزة الرأسمالية التي تهدف إلى أسر البشر وتنميطهم وضبطهم والسيطرة عليهم، والحيلولة بينهم وبين قدرتهم على الفعل وعلى عدم الفعل وخاصة منع هذه الأخيرة لأنها بذلك تشلّ القدرة على المقاومة وتحبط ظهورها. فالمقاومة في التحليل الأخير عند أغامبين تسعى إلى استعادة البعد الأصيل للإنسان الذي يميزه عن بقية الكائنات ألا وهو بُعد الإمكان، ولا سيما في شكل الإمكان على عدم الفعل.

الكلمات المفتاحية: أغامبين – المقاومة – الإمكان– عدم الإمكان – الإمكان على عدم الفعل – التعطيل – الجهاز.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ مساعد – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**
** **أستاذ مساعد – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**
*** **طالب دكتوراه – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**

مقدمة:

عالج أغامبين مسألة المقاومة في حالتين: الأولى تتعلق بالمقاومة بوصفها مسألة موضوعية واقعية، أي المقاومة باعتبارها وضعية انتفاض شعبي، وكان تعامله مع هذه الحالة بشكل عرضي وجاء في سياق تفكيكه لـ "حالة الاستثناء". حيث بيّن أن المقاومة شأنها شأن حالة الاستثناء (حالة الطوارئ – حالة الحصار) تفتقر إلى نظرية قانونية قادرة على ضبطها في نص قانوني، أي أن الحق في المقاومة هو قضية ترتبط بإشكالية المعنى القانوني لمجال يقع خارج نطاق القانون[1]. وهذه الحالة على أهميتها ليست محور بحثنا. والحالة الثانية تتجلى في عمله على التأسيس الفلسفي الأنطولوجي لمفهوم المقاومة، وهذا العمل ظهر لأول مرة في محاضرة له في "قسم الفلسفة والفن والفكر النقدي في المدرسة العليا الأوروبية" وكانت بعنوان "المقاومة في الفن"، والتي تحولت مع تعديلات بسيطة إلى فصل في كتابه "الخلق والفوضى: العمل الفني ودين الرأسمالية" وتحت عنوان مختلف هو: "ما فعل الخلق؟". وتتجلى أيضاً في نصوص أخرى حدد فيها أشكالاً رئيسة للمقاومة متمثلة بالتدنيس (profanation) واللعب ومنها نصه الموسوم "في مديح التدنيس" في كتابه "تدنيسات"، وبشكل مقتضب في نصه "ما الجهاز" في كتابه المعنون بالاسم ذاته. وهذه الحالة الثانية هي المحور الأساس لبحثنا. ولكن قبل الخوض في تبيان الأسس الفلسفية التي يقوم عليها مفهوم المقاومة وأشكالها عنده تطلب الأمر تعيين القوى التي تواجهها هذه المقاومة. ولأن مواجهات المقاومة عنده واسعة وشاملة لقطاعات مختلفة سياسية وقانونية وفلسفية وإتيقية وفنية، اختصرنا المواجهة هنا مع مفهوم "الجهاز" (apparatus) الذي ركز عليه أغامبين انطلاقاً من مقاربة للفيلسوف ميشيل فوكو، وطوّره من خلال تطويره لفكرة الفيلسوف الألماني فالتر بنيامين عن الرأسمالية بوصفها ديناً. وإننا إذا دمجنا المقاربتين التطويريتين معا ستكون المقاومة بالمعنى الذي أسس له أغامبين هي لمواجهة "جهاز الرأسمالية بوصفها ديناً".

أهمية البحث وأهدافه:

السؤال المركزي الذي يهدف البحث في مقاربة إجابة عنه هو: ما الجديد الذي جاءت به فلسفة أغامبين في مجال المقاومة بوصفها مفهوما وممارسة، وما مدى فعالية أشكال المقاومة التي أسس لها أغامبين نظرياً في مواجهة تسلط الأجهزة الرأسمالية الغربية وخاصة بعد تفردها في السيطرة على المجتمعات الغربية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية الملحقة به؟ وعلى الرغم من أن فلسفة أغامبين تجادل وتناقش وتحفر في الثقافة الغربية فقط إلا أن مقاربة فلسفته ضرورية للاستفادة من أدواته المعرفية لمقاربة مشكلاتنا في العالم العربي، فالتفكير في الآخر هو بالتحليل الأخير تفكير في الذات. فالإرهاب والاحتلال الصهيوني المدعوم من قبل دول المراكز الرأسمالية الغربية وكذلك الاحتلال الأمريكي لأجزاء من بلادنا والتخلف والتخلّع التي تعاني منه الوضعية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والثقافية العربية...الخ، يحتاج إلى مفهوم للمقاومة قادر على مواجهة هذه المشكلات. ونعتقد أن فلسفة أغامبين تستطيع تقديم هذه العدة المفاهيمية المنتجة لأدوات فعالة نظرياً وعملياً في سبيل التأسيس لمقاومة فاعلة في عالمنا العربي.

[1] **يُنظر: أغامبين، جورجيو، *حالة الاستثناء*، ترجمة: ناصر إسماعيل، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ط1، 2015، ص 41، 42، 58.**

منهجية البحث:

الأهداف التي تحدثنا عنها تتطلب تتبعاً تحليلياً لأطروحات أغامبين بخصوص مفهوم المقاومة والناتجة عن أركيولوجيا نقدية تعتمد على الحفر في الخطابات للكشف عن قواعد تشكلها، والقائمة على تحليل دقيق للوقائع، والممارسات والمعارف. وهذا التتبع يتطلب العودة لمرجعيات أغامبين الفلسفية التي اعتمد عليها في تأسيس مفهومه للمقاومة وذلك لتتضح عملية التطوير التي قام بها أغامبين لنصوص مرجعياته الفلسفية.

النتائج والمناقشة:

أولاً: من مفهوم الجهاز إلى أجهزة الرأسمالية بوصفها ديناً:

ينطلق أغامبين في تعيينه لمفهوم الجهاز (Apparatus) من مقاربة تطويرية لمفهوم الجهاز عند الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو. فالجهاز عند فوكو هو «مجموعة غير متجانسة تشمل فعلياً على أي شيء، لغوي وغير لغوي، تحت نفس العنوان: الخطابات، المؤسسات، المباني، القوانين، إجراءات الشرطة، الفلسفة، المقترحات، وما إلى ذلك. الجهاز نفسه هو الشبكة التي هي بين هذه العناصر.»[2] وغرض الجهاز عند فوكو هو خلق الانضباط أي السيطرة والرقابة على الفرد والمجتمع والوصول إلى المجتمع الانضباطي، وهذا الأخير ليس فقط نتيجة لآليات سلطوية عامة ومتعالية ممثلة بالدولة والسلطة السيادية المسيطرة بل ينتج أيضاً عن شبكات سلطوية متنوعة وموزعة تصل إلى داخل الفرد ذاته فيغدو خاضعاً لمنظومة الأفكار والأخلاقيات والقيم التي فرضها الجهاز السلطوي من دون أن يشعر بسلطوية هذا الجهاز وعنفه، وبمعنى آخر يمكن أن يصبح الفرد عبداً دون أن تكون هناك عبودية مباشرة وجسدية تستخدم العنف والقسوة والتعذيب. فالنفس (النفس = الوعي – الذات – الشخصية) في مقاربة فوكو الفلسفية تخضع في المجتمعات الانضباطية الحديثة لآليات تشريح سياسية، فالمدرسة والمستشفى والمصنع والثكنة العسكرية والسجن والخطابات القانونية والعلمية والفلسفية كلها تعمل على خلق الشروط التي تضبط الفرد ووعيه وسلوكه ليغدو أداة طيعة في خدمة الجهاز. وباختصار تغدو النفس سجناً للجسد بخلاف الرؤية الفلسفية الأفلاطونية التي كانت تقول إن الجسد هو سجن النفس، يكتب فوكو في هذا السياق: «فالنفس إن هي إلا نتيجة، وأداة لأناتوميا [تشريح] سياسية؛ النفس هي سجن الجسد»[3].

يتفق أغامبين مع القراءة الفوكوية بخصوص مفهوم الجهاز، يكتب: «سأسمي الجهاز حرفياً أي شيء له القدرة بطريقة ما على الأسر، التوجيه والتقرير والاعتراض والنمذجة والسيطرة وتأمين التصرفات والسلوكيات والآراء أو خطابات الكائنات الحية.»[4] وهنا يوسع أغامبين شبكة العناصر التي تشكل الجهاز لتشمل ليس فقط الموضوعات التي يكون ارتباطها واضحاً بالسلطة السيادية كالسجون، والمشافي، والمصانع، والمدارس...الخ، بل أيضاً الموضوعات التي قد تبدو بعيدة عن هذا الارتباط كالأدب والسجائر والحواسيب والهواتف الخلوية بل حتى اللغة ذاتها[5]. ويتجاوز أغامبين جدلياً الفهم الفوكوي لمفهوم الجهاز ليضع تصوره الخاص القائم على «تقسيم عام وشامل للكائنات إلى مجموعتين أو

---

[2] أغامبين، جورجيو. *ما الجهاز؟ وبحوث أخرى*، ترجمة الحبيب الواعي، دار الليبرالية، برلين، ط1، 2022م، ص 11.

[3] فوكو، ميشيل، *المراقبة والمعاقبة ولادة السجن*، ترجمة علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م، ص 67.

[4] أغامبين، جورجيو. *ما الجهاز؟ وبحوث أخرى*، ص 26.

[5] المصدر السابق، ص 26.

صنفين كبيرين: من جهة لدينا الكائنات الحية (أو المواد) وفي الجهة الأخرى الأجهزة التي يتم فيها أسر الكائنات الحية باستمرار»[6] وينتج من هذا الصراع العنيف بين المجموعتين "الذات" وهذه الأخيرة تكون معرضة نتيجة هذا الصراع لعمليات متعددة من الإخضاع القسري والأسر، وهناك تزامن في عصرنا الرأسمالي الحالي كما يجادل أغامبين بين التوالد اللامحدود للأجهزة والتزايد الكبير لعمليات الإخضاع الأمر الذي جعل مقولة الذاتية تفقد تماسكها بمعنى أننا أمام ذوات غير حقيقية فاقدة لهويتها الخاصة المميزة[7].

السؤال المركزي الذي يطرح نفسه هنا: ما ماهية عملية الإخضاع والأسر والتنميط والانتهاك التي تمارسها الأجهزة –في هذه الحقبة الرأسمالية المتطرفة– على حياة الأفراد باستمرار؟ يؤكد أغامبين أن الأجهزة لعبت دوراً تاريخياً في انتقال البشر من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية، وخير مثال هنا هو جهاز اللغة الذي لعب دوراً كبيرا في عميلة الأنسنة. وعموما كما يجادل أغامبين يوجد داخل كل جهاز رغبة إنسانية قوية في السعادة، ولكن هذه الأجهزة في ظل الحقبة الرأسمالية المتطرفة التي نعيشها تعمل على إخضاع وأسر هذه الرغبة وفصلها في مجال محدود ومحدد يمنع تعددية الاستعمال المفتوح والممكن والجالب للسعادة التي تجعل الحياة جديرة بأن تعاش. إذن نحن أمام أجهزة رأسمالية تعمل وفق آلية تدفع وتعمم عمليات الانفصال[8]. ولكي نفهم عملية الانفصال التي تحدد طريقة عمل الأجهزة الرأسمالية لا بد من العودة إلى تطوير أغامبين لشذرات الفيلسوف فالتر بنيامين حول الرأسمالية بوصفها ديناً.

طوّر أغامبين فكرة بنيامين "الرأسمالية بوصفها ديناً" في كتابيه "تدنيسات"، و"الخلق والفوضى: العمل الفني ودين الرأسمالية" وفيهما عرض فكرة بنيامين التي ترى باختصار أن الرأسمالية هي دين محدد بثلاث خصائص: فهي أولاً ديانة شعائرية متطرفة، فكل شيء فيها يكتسب معنى فقط عندما نحيله على ممارسة عباديّة وليس على عقيدة أو مثل أعلى. وهذه العبادة ثانياً دائمة لا تتوقف، ففيها لا يمكن التمييز بين أيام العيد وأيام العمل. وثالثاً هذه العبادة الرأسمالية ليست موجهة إلى الخلاص أو التكفير عن الذنب، بل إلى الذنب نفسه[9]. ما يهمنا هنا الطريق والمسار الذي طور فيه أغامبين هذه الفكرة. يوافق أغامبين على أن الرأسمالية هي دين، ولكن من منطلق آخر يبدأ من تحديدٍ لمفهوم الدين، والبداية هنا كانت لغوية فقد حدد الأصل الاشتقاقي لكلمة الدين بفهم مختلف عما هو سائد*، يكتب: «إن مصطلح "religio" "الدين" لا يشتق، كما سيقال من أصل مبتذل وغير صحيح، من "religare" "يربط أو يوحد" (ما يربط ويوحد بين الإنسان والإله). إنه يأتي بدلاً من ذلك من "relegere"، الذي يشير إلى موقف التدقيق والانتباه الذي يجب اعتماده في العلاقات مع الآلهة، والتردد القلِق ("إعادة القراءة [rileggere]") قبل الأشكال– والصيغ– التي يجب مراعاتها من أجل احترام الفصل بين المقدس والمدنس.»[10] فالدين قائم على الفصل وليس على الوحدة والربط، يكتب:

---

[6] المصدر السابق، ص 25، 26.

[7] يُنظر: أغامبين، *جورجيو. ما الجهاز؟ وبحوث أخرى*، ص 26، 27، 29، 34.

[8] يُنظر: المرجع السابق، ص 30، 33.

[9] AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism*, Translated by Adam Kotskom, *Stanford* University Press, Stanford, California, 2019, p 68.

*** ربما من المفيد هنا عرض وجهة نظر أخرى بخصوص الأصل الاشتقاقي لكلمة "الدين"، يكتب الفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسّير: «ويقال إنّ كلمة "religion" (دين) مشتقّة من كلمة لاتينية تعني "عروة" (Lien). وهكذا يكون الدين تعليماً غايته شدّ الرابط الذي يجمع الناس المنتمين إلى شعب بعينيه. للمرويّات الدينيّة إذاً وظيفة هي: تمكين النساء والرجال الذين تتوجّه هذه المرويّات الدينيّة إليهم من أن ينشدّوا إلى بعضهم البعض باعتناق المعتقدات نفسها، ومن أن "يشكّلوا شعباً واحداً."» ألتوسير، لويس، تأهيل إلى الفلسفة للذين ليسوا بفلاسفة، ترجمة: الياس شاكر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2017، ص 122، 123.**

[10] AGAMBEN, G. *Profanations*, translated by Jeff Fort, Zone Books, New York, 2007, p 74, 75.

«إن "الدين" ليس هو ما يوحد البشر والآلهة، بل هو ما يضمن بقاءهما متمايزين.»[11] ومن هنا نخلص إلى تعريفه للدين، يكتب: «يمكن تعريف الدين بأنه ما يستأصل الأشياء والأماكن والحيوانات أو البشر من الاستعمال الشائع وينقلها إلى مجال منفصل. ليس لإنه لا وجود لدين بدون انفصال، بل لأن كل انفصال يحتفظ في ذاته على نواة دينية حقيقية.»[12] بهذا المعنى عند أغامبين الرأسمالية هي دين لأنها تقوم على الانفصال الخالص الذي ينطبق على كل ما جرى القيام به أو إنتاجه أو تجربته في حقبة الرأسمالية التي نعيشها. فالرأسمالية هي عملية فصل تنتزع وتستأصل الأشياء والموضوعات من الاستعمال العام والحر وتحصرها في مجال منفصل هو مجال الاستهلاك، وهذا الأخير يشترط فعل التملك للشيء حتى يصبح قابلا للاستخدام لذلك هو يأسر إمكانية الاستعمال الحر والعام[13]. من هنا نخلص إلى القول بأن الاخضاع والأسر والتنميط التي تمارسه الأجهزة الرأسمالية على حياة الأفراد قائم على عملية فصل. ونجد جذر هذه الفكرة عند ماركس في سفره "رأس المال"، فقد بيّن ماركس في باب "الطابع الصنمي (الفيتشي) للسلعة وسره" بأن «الطابع الصنمي لعالم السلع [...] ينبثق من الطابع الاجتماعي المتميز للعمل الذي ينتج سلعاً. وبوجه عام لا تصبح الأشياء النافعة سلعاً إلا لأنها منتوجات أعمال يزاولها أفراد مستقلون بعضهم عن بعض ولما كان المنتجون لا يقيمون صلات اجتماعية في ما بينهم إلا عند تبادل منتوجات عملهم، فإن الطابع الاجتماعي المتميز الذي يسم العمل الخاص لكل واحد منهم لا يظهر للعيان إلا في فعل التبادل [...] وعليه فإن العلاقات الاجتماعية التي تربط بين مختلف الأعمال الخاصة تظهر، لهؤلاء المنتجين، لا كعلاقة اجتماعية مباشرة بين الأفراد العاملين، بل تبدو، بما هي عليه حقاً، علاقات شيئية بين الأشخاص وعلاقات اجتماعية بين الأشياء.»[14] فالعلاقات الرأسمالية تعطي للموضوعات المنتجة قيمة، أي تبدو لها قيمة إنسانية بشكل منفصل عن الإنسان/ العامل الذي أنتجها بجهده وفعاليته، فتظهر علاقات التبادل الإنسانية في مظهر العلاقات بين الأشياء، ولتوضيح عملية الانفصال هنا نذكر مثالاً ذكره الفيلسوف "لوسيان غولدمان" في نصه الموسوم "التشييء"، يكتب: «"يكلف الحذاء خمسة آلاف فرنك". تعبر هذه الجملة عن علاقة اجتماعية وإنسانية ضمنياً بين مربي المواشي والدباغ وعماله ومستخدميه وبائع الجملة وبائع الأحذية ومن ثم أصغر مستهلك. ولكن لا يظهر شيء من ذلك، لأن معظم هؤلاء الأشخاص لا يعرفون بعضهم بعضاً. لا بل يجهلون وجودهم المتبادل. ويتعجبون جداً عندما يدركون وجود رابط يجمعهم. ويتم التعبير عن هذا كله بجملة واحدة هي أن "الحذاء يكلف خمسة آلاف فرنك"»[15]. من هنا ذهب ماركس في هذا السياق إلى القول بالتطابق بين آليات الدين وآليات المجتمع الرأسمالي وبين عالم الأديان وعالم التسليع الرأسمالي، يكتب: «ففي هذا العالم (يقصد عالم الدين) تظهر منتوجات الدماغ البشري بهيئة كائنات مستقلة تتمتع بالحياة وتدخل في علاقات مع بعضها بعضاً ومع الجنس البشري. وهكذا أيضاً شأن منتوجات يد الإنسان في عالم السلع.»[16] فبالنسبة لماركس فإن الرأسمالية مثل الدين تعمل وفق آلية تدفع إلى أقصى الحدود عمليات الانفصال، حيث يواجه البشر في عالم التسليع الرأسمالي نتاجهم أي نتاج عملهم وجهدهم كما لو كان شيئاً منفصلاً وخارجياً تماماً كما يواجه البشر في عالم الدين الكائنات الدينية التي هي من نتاج أدمغتهم كما لو كانت شيئاً منفصلاً وخارجياً. وبهذا المعنى تكون مقاربة أغامبين للرأسمالية بوصفها ديناً ليست امتداداً

---

[11] المصدر السابق، ص 75.

[12] أغامبين، جورجيو. *ما الجهاز؟ وبحوث أخرى*، ص 32.

[13] AGAMBEN, G. *Profanations*, p 81, 82, 83.

[14] ماركس، كارل، *رأس المال*، المجلد الأول عملية إنتاج رأس المال، ترجمة فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2013، ص 106، 107.

[15] شحيّد، جمال، *في البنيوية التكوينيّة دراسة في منهج لوسيان غولدمان*، دار التكوين، دمشق، ط1، 2013، ص 157.

[16] ماركس، كارل، *رأس المال*، ص 106.

لشذرات فالتر بنيامين فقط، بل هي تطوير فلسفي أيضاً لتحليل ماركس لتطابق عالم الدين الضبابي مع عالم السلع الرأسمالي. بعد هذا العرض التحليلي لمفهوم الجهاز أو الأجهزة في الرأسمالية وآلية عملها علينا أن نبدأ في عرض الأسس الفلسفية للمقاومة وأشكالها عند أغامبين التي من خلالها ستجري مواجهة الأجهزة الرأسمالية المسيطرة.

ثانياً: التأسيس الفلسفي الأنطولوجي للمقاومة:

ينطلق أغامبين في تأسيسه الفلسفي لمفهوم المقاومة من قراءة خاصة لنصوص أرسطو بخصوص مفهوم الإمكان (الوجود بالقوة) ومن تأويل خاص للعلاقة الثنائية بين القوة (الإمكان) والفعل. لذا من الضروري عرض العلاقة بين القوة (الإمكان) والفعل عند أرسطو. يرى أرسطو أن الموجود ينقسم إلى وجود بالقوة ووجود بالفعل، بالنسبة للكائنات غير الناطقة فإن الوجود بالقوة أو الإمكان يأخذ شكلاً واحداً، فبذرة شجرة اللوز مثلاً هي ليست بعد شجرة لوز وإنما هي من حيث القوة أو الإمكان شجرة لوز، وهذا يعني أنه ستصبح فيما بعد شجرة لوز إذا لم تتدخل عوامل تعيق عملية وصولها إلى صورة الشجرة. في حين بالنسبة للإنسان فإن الوجود بالقوة (الإمكان) هو على شكلين عند أرسطو، يكتب أغامبين بخصوص ذلك: «هناك إمكان عام، وهذا هو المقصود عندما نقول، على سبيل المثال، إن الطفل لديه القدرة على المعرفة، أو أنه يمكن أن يصبح رئيساً للدولة. وهذا المعنى العام ليس هو الذي يثير اهتمام أرسطو. فالإمكان التي يهمه هو الذي يكون مثلاً عند شخص ما يمتلك معرفة أو قدرة. وبهذا المعنى، نقول عن المهندس المعماري أن لديه القدرة على البناء، وعن الشاعر أن لديه القدرة على كتابة القصائد. ومن الواضح أن هذه الإمكان الموجود يختلف عن الإمكان العام عند الطفل»[17] تنطلق قراءة أغامبين الخاصة من الشكل الثاني للإمكان الذي يسميه أرسطو الإمكان الفعلي. الشائع أن الإمكان عند أرسطو يسبق الفعل ويحدده، وأن هناك شكلاً واحداً للإمكان هو الإمكان على الفعل، ولكن جدل أرسطو مع الفلاسفة الميغاريين يفتح مسارات قراءة مختلفة هي التي سمحت بتأويل أغامبين الخاص، يلخص لنا أرسطو فهم الفلاسفة الميغاريين للعلاقة بين الإمكان (القوة) والفعل: «هناك بعض المفكرين، مثل الميغاريون، يقولون إن الشيء يكون قوة فعّالة عندما يكون نشطاً فقط، ولكن عندما لا يكون نشطاً فلا يكون قوة فعّالة؛ على سبيل المثال، الشخص الذي لا يبني لا يستطيع البناء، ولكن الرجل الذي يستطيع هو الذي يعرف كيف يبني، وفي اللحظة التي يبني فيها، وبالمثل في الحالات الأخرى.»[18] أي أن الإمكان (القوّة) عند الميغاريين لا يوجد إلا متى وجد بالفعل، فالمهندس الذي لا يبني ليس عنده قوة البناء أو إمكان البناء. يرد أرسطو على هذه الأطروحة مبيناً نتائجها العبثية، يلخص لنا أغامبين الرد الأرسطي، يكتب: «في كتابه الميتافيزيقا، يرد أرسطو على أطروحات المغاريين، الذين ادعوا، لسبب وجيه، أن الإمكان (القوة) موجود فقط في الفعل. يعترض أرسطو على أنه، إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكننا اعتبار المهندس المعماري مهندساً معمارياً عندما لا يقوم بالبناء أو لا يمكننا أن ندعو الطبيب الذي لا يمارس فنه باسم الطبيب.»[19] وهنا يأتي تأويل أغامبين الخاص الذي يرى في نقد أرسطو للميغاريين توضيحاً لنوع خاص من الإمكان له وجود متفرد، فالمهندس المعماري يحافظ على إمكانه على البناء حتى وهو لا يقوم بفعل البناء، أي هناك إمكان على عدم الفعل أو إمكان يعلّق الفعل ويعطله. إذن ما يحدد نمط وجود الإمكان هو أنه موجود في شكل تمكّن على عدم الوجود. لذا فإن الإنسان الذي يملك الإمكان، يبقى مرتبطاً بهذا الإمكان حتى عندما لا يحوّله إلى فعل

[17] AGAMBEN, G. ***POTENTIALITIES Collected Essays in Philosophy***, translated By Daniel Heller-Roazen, Stanford University Press, Stanford, California, 1999, p 179.

[18] أرسطو، ***الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة"*** ، ترجمة محيي الدين محمد مطاوع، تقديم: مصطفى النشار، دار صفصافة، الجيزة، مصر، ط1، 2022م، ص 228.

[19] AGAMBEN, G. ***CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism,*** p 17.

(حتى عندما لا يعبر الإمكان إلى الفعل)، أي يمتلك الإنسان إمكانه في وضع عدم إمكان أي القدرة على ألا يعبر هذا الإمكان إلى الفعل، لذلك يمكنه أن يفعل لأنه يمكن أن يبقى في علاقة مع إمكانه على ألا يفعل[20]. وليؤكد صحة تأويله يقتبس أغامبين نصاً لأرسطو يوضح أصالة هذا النوع من الإمكان عند أرسطو، والاقتباس هو «كل قوة يقابلها في نفس الموضوع ووفق نفس العلاقة، عدم قوة مطابق لها.»[21] أي أن هناك انتماء مشتركاً تأسيسياً بين الإمكان وعدم الإمكان (القوة وعدم القوة) عند أرسطو، فكل إمكان يكون عدم إمكان للشيء نفسه وفيما يتعلق بالشيء نفسه، فعدم الإمكان لا يعني (في قراءة أغامبين) غياب الإمكان بل يعني إمكان عدم الانتقال إلى الفعل، وبالتالي نحن أمام شكلين من الإمكان: إمكان على الفعل وإمكان على عدم الفعل، يكتب أغامبين بخصوص هذا الطرح: «وهذا يعني أن هذه الأطروحة تحدد التناقض النوعي لكل إمكان إنساني الذي يحافظ دائماً في بنيته الأصلية على علاقة مع حرمانه الخاص ويكون دائماً –بالإشارة إلى الشيء نفسه– إمكاناً على الوجود وإمكاناً على عدم الوجود، إمكاناً على أن يتحول إلى فعل وإمكاناً على أن لا يتحول إلى فعل.»[22] وهنا يستند أغامبين على قراءة الفيلسوف العربي الإسلامي ابن سينا لمفهوم الإمكان أو لعلاقة القوة والفعل، وخاصة ذلك التمثيل الذي يستخدمه ابن سينا بهذا الخصوص والمرتبط بالكتابة، يكتب أغامبين: «القوّة التي توجد هي بالضبط هذه القوّة التي يمكنها أن لا تمرّ إلى الفعل (ابن سينا – الوفي في ذلك للمقصد الأرسطي – يسمّيها "قوّة تامّة" ويضرب مثالاً على ذلك صورة الكاتب الذي لا يكتب). إنها تستمرّ في علاقة بالفعل في صيغة تعليقه، إنها تقدر على الفعل بقدرتها على عدم تحقيقه، إنها تقدر غاية الاقتدار على عدم قدرتها الخاصّ.»[23] فهنا يلتقط ابن سينا الإمكان الأساس الذي يركز عليه أغامبين وهو الإمكان التام والكامل والمتقن، فالكاتب أو الناسخ يمتلك فن الكتابة بالكامل في اللحظة التي لا يكتب فيها.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما علاقة هذا الشكل الخاص للإمكان بمفهوم المقاومة؟ يرى أغامبين أن المقاومة تتبع من الإمكان على عدم الفعل، وهنا يعود إلى أصل كلمة المقاومة في اللاتينية ليوضح الترابط بين مفهوم المقاومة ومفهوم الإمكان على عدم الفعل، يكتب: «في كل فعل من أفعال الخلق هناك ما يقاوم الإظهار [الإفصاح] ويعارضه. كلمة "مقاومة" (to resist) مشتقة من الكلمة اللاتينية "sisto" وتعني اشتقاقياً "التوقف" أو "الإحجام" أو "أن يكبح المرء ذاته". هذه القوة التي تكبح الإمكان أو توقفه في حركته نحو الفعل هي عدم إمكان، إمكان على عدم الفعل.»[24] فالمقاومة في جذرها اللغوي تدل على معاني اللّجم والكبح والتقييد للفعل وتلتقي بهذا مع مفهوم الإمكان الأسمى الذي هو في قراءة أغامبين قدرة على عدم الفعل. وهنا ينبع إشكال جديد مفاده بأنه إذا كانت المقاومة هي القدرة على عدم الفعل فكيف يجري الانتقال إلى الفعل أو بلغة أرسطية إذا كان كل إمكان (قوة) هو عدم إمكان (عدم قوة) أو هو إمكان على عدم الفعل فكيف يجري العبور إلى الفعل؟ يرى أغامبين أن العبور إلى الفعل يحدث فقط من خلال تحويل عدم إمكان المرء الخاص (أي القوة على أن لا يكون ويفعل) إلى فعل، فمقاومة "الإمكان (القدرة) على عدم الفعل" «تبطئ الاندفاع

---

[20] AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY* The Work of Art and the Religion of Capitalism, p 17, 18, 19.

[21] أغامبين، جورجيو، *المنبوذ السلطة السيادية والحياة العارية*، ترجمة عبد العزيز العيادي، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2017، ص 68. [وضعنا هنا ترجمة عيد العزيز العيادي لأنها تقارب تأويل أغامبين أكثر. ولم نستخدم ترجمة محيي الدين محمد مطاوع ولذلك نضع ترجمة هذا الأخير هنا: "... فإن كل "قدرة" "إمكانية" بها "عدم قدرة" أو "عدم إمكانية" مضادة لإنتاج نفس النتيجة فيما يتعلق بنفس الموضوع." أرسطو، الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة"، ص 226.]

[22] AGAMBEN, G. ***CREATION AND ANARCHY*** *The Work of Art and the Religion of Capitalism*, p 17, 18.

[23] أغامبين، جورجيو. ***المنبوذ السلطة السيادية والحياة العارية***، ص 68.

[24] AGAMBEN, G. ***CREATION AND ANARCHY*** *The Work of Art and the Religion of Capitalism*, p 18.

الأعمى والمباشر نحو الفعل وبهذه الطريقة يُكبح انحلال الإمكان واستنفاده بالكامل في الفعل.»[25] أي تعمل المقاومة هنا بوصفها قوة حاسمة تكبح عبور الإمكان السلس نحو الفعل وتقيّده، وبهذه الطريقة هي تمنع بأن يستهلك الإمكان في الفعل. ويحذر أغامبين في هذا السياق من خطورة تحول الإمكان على عدم الفعل إلى مبدأ مستقل، يكتب: «لا يمكن السيطرة على "الإمكان على عدم الفعل" في حال تحوله إلى مبدأ مستقل من شأنه أن يؤدي في نهاية المطاف إلى إعاقة أي عمل.»[26] فالأمر الحاسم هنا هو أن العمل ينتج دائماً من العلاقة الجدلية بين الإمكان على الفعل (الدفع) والإمكان على عدم الفعل (المقاومة)، وهذا الأخير هو تعطيل (deactivation–inoperativity) لثنائية قوة/ فعل، يكتب أغامبين: «الإمكان على عدم الفعل ليس إمكاناً آخر وضع جنباً إلى جنب مع الإمكان على الفعل: إنه تعطيله، وهو ما ينتج من تعطيل المخطط قوة/ فعل. وبعبارة أخرى هناك صلة أساسية بين الإمكان على عدم الفعل والتعطيل.»[27] إذاً نحن أمام ثلاثة مفاهيم تحيل إلى بعضها وهي الإمكان على عدم الفعل والتعطيل والمقاومة، وبالتالي نستطيع القول إن المقاومة عند أغامبين هي ممارسة قائمة على التعطيل أي على إظهار الإمكان بشكليه الإمكان على الفعل وعلى عدم الفعل وهذا الأخير هو الأهم. فالمقاومة هي الممارسة التي تجعل الأعمال والمهمات التي يقوم بها الإنسان معطلة، أو تعمل بالتعطيل وبهذه الطريقة تنفتح على إمكاناتها. فمقاومة الإمكان على عدم الفعل أو المقاومة التعطيلية ليست هنا كسلاً أو جموداً، بل هي تطبيق عملي أو إمكان من نوع خاص يحافظ على نفسه بشكل أساسي في علاقة مع تعطيله الخاص، أي يبقى الإمكان على عدم الفعل حاضراً في الفعل ولا يستنفد في الفعل من جهة ويعمل الحضور التعطيلي من جهة أخرى على فتح الأشياء والموضوعات والممارسات على استعمالات جديدة ممكنة وغير مقيدة بشكل ما. ومن هنا نفهم معنى السياسة والفن من منظور المقاومة الأغامبينية فهما يجب أن يكونا قائمين على التعطيل، يكتب أغامبين: «السياسة والفن ليسا بمهام ولا مجرد "أعمال": إنهما يسميان، بالأحرى، البعد الذي يجري فيه تعطيل العمليات اللغوية والجسدية، المادية وغير المادية، والبيولوجية والاجتماعية، والتفكر فيها على هذا النحو.»[28] والأنموذج المتميز عنده لأي مقاومة تعطيلية في جميع الأعمال البشرية هو الشعر، يكتب: «ما هو الشعر إن لم يكن عملية في اللغة تعطل وظائفها التواصلية والإعلامية وتصيّرها معطلة من أجل فتحها على استعمال جديد ممكن؟»[29] ويضيف موضحاً ضرورة نقل أنموذج المقاومة التعطيلية في الشعر إلى فضاء الممارسة الفلسفية والسياسية: «ما يحققه الشعر في إنجاز الإمكان في القول، يجب أن تحققه السياسة والفلسفة في إنجاز الإمكان في الفعل. ومن خلال تعطيل العمليات الاقتصادية والاجتماعية، فإنها تظهر ما يمكن أن يفعله الجسد الإنساني، وتفتحه لاستعمال جديد ممكن.»[30] ما يريد أغامبين قوله هنا أنه كما أن الشعر من خلال تعطيله للوظيفة التواصلية للغة وذلك بخلقه تعابير وصياغات مفتوحة على استعمالات متعددة وحرة تظهر إمكانات اللغة المفتوحة وغير المأسورة بتقيدات ما هو شائع وسائد والبعيدة عن المعاني اللغوية المتداولة والواضحة وعن المفردات والصياغات اللغوية والقاموسية المحددة، كذلك على الفلسفة والسياسة والفن أن تعمل بدورها على تعطيل العمليات الفكرية والفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي فرضتها أجهزة الرأسمالية وأسرتها وحصرتها في استخدام محدد ومضبوط، وذلك من أجل فتحها على استعمالات أخرى

[25] **AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY* The Work of Art and the Religion of Capitalism, p 19.**
[26] **المصدر السابق، ص 20.**
[27] **المصدر السابق، ص 23.**
[28] **المصدر السابق، ص 27.**
[29] **المصدر السابق، ص 27.**
[30] **المصدر السابق، ص 28.**

متعددة وممكنة. ويرى أغامبين انطلاقاً من ذلك أن السلطة أو أجهزة الرأسمالية المعاصرة تدرك خطورة مقاومة الإمكان على عدم الفعل أو المقاومة بالتعطيل ولذلك تعمل ليس فقط على الحيلولة بين الفرد وقدرته على الفعل بل أيضاً وهو الأهم على إحباط قدرته على عدم الفعل، فإنّ قيام الأجهزة على المباعدة بين الأفراد وقدرتهم على الفعل هو شكل مألوف تتخذه سلطة الأجهزة، لكن ما هو غير مألوف وهو الذي يعدّه أغامبين جوهرياً في عمل الأجهزة هو المباعدة بين الأفراد وقدرتهم على عدم الفعل أي الحيلولة بينهم وبين إمكانهم على عدم الفعل، ففي سياق جدله مع تعريف الفيلسوف الفرنسي دولوز لعمل السلطة الذي يرى أن عملها يرتكز على «المباعدة بين البشر وبين ما يمكنهم فعله، أي بينهم وبين إمكانهم، قدرتهم (potentiality).»[31] يرى أغامبين أن هناك عملاً آخر للسلطة يستهدف قدرتهم على المقاومة، يكتب: «لا تحول السلطة بين البشر وبين إمكانهم، أي بينهم وبين ما يقدرون على فعله، وإنما بين البشر وبين لا إمكانهم (impotentiality)، أي [...] بينهم وبين ما يقدرون على عدم فعله [...] فأولئك الذين يُحال بينهم وبين ما يقدرون على فعله ما زال بوسعهم أن يقاوموا. إذ لا يزالون قادرين على ألا يفعلوا. بينما أولئك الذين يُحال بينهم وبين ما يقدرون على عدم فعله لا يعود بوسعهم أن يقاوموا.»[32]

يتمحور السؤال الآن بعد تحديد الأساس الأنطولوجي للمقاومة حول كيفية تجلي المقاومة التعطيلية أو مقاومة الإمكان على عدم الفعل فعلياً في الممارسة النظرية أو العملية؟ نستطيع في هذا السياق أن نحدد شكلين للمقاومة عند أغامبين: مقاومة داخلية ومقاومة خارجية، وكلا الشكلين مرتبط بمفهوم الإمكان.

- المقاومة الداخلية:

يشرح أغامبين فعل المقاومة الداخلية (الذي وضحنا سابقاً الأساس الفلسفي الذي تقوم عليه) في سياق تفكيكه لفعل الخلق الإبداعي وخاصة الفني، فيرى أن الفن الذي ينطلق من الإمكان على الفعل إلى الفعل سينتج فناً منحطاً هابطاً والسبب ببساطة هو التخلي عن مقاومة الإمكان على عدم الفعل، يكتب: «إذا كان الخلق هو مجرد إمكان على الفعل الذي لا يمكنه إلا أن يعبر بشكل أعمى نحو الفعل، فإن الفن سينزلق إلى تنفيذ يتقدم بثقة زائفة نحو شكل كامل، لأنه قد نحى مقاومة الإمكان على عدم الفعل.»[33] فالنتاج الإبداعي الفني ليس تحقيقاً لنموذج متكامل بل هو على العكس حفاظ على الإمكان في الفعل وإنقاذ للنقص فيه، يكتب: «تتجلى مقاومة الإمكان على عدم الفعل في لوحة الفنان أو على صفحة لكاتب عظيم بوصفها حضوراً أسلوبياً صميمياً في كل عمل فني متميز.»[34] ولا يقصد أغامبين هنا تغيّرات رأي الفنان ولا تلك التغيرات التي نلحظها في المسودات والمخطوطات الأولية لكاتب ما، بل ما يقصده بالتحديد هو ذلك «الارتعاش الخفيف غير المحسوس الكامن وراء الاستتباب الشكلي»[35] وهو الأمر الذي يوضحه دانتي في قوله: «الفنان هو الذي لديه خبرة الفن ويد ترتجف»[36] ويعبّر التناقض بين خبرة الفنان ويده التي ترتجف تماماً عن الثنائية الجدلية اللازمة لكل عملية إبداعية حقيقية، أي كما حددنا سابقاً بأن الخلق الإبداعي الحقيقي يكون نتاج صراع بين حافزين متناقضين هما الدفع والمقاومة، الدفع يمثل الخبرة الفنية التي يتمتع بها الفنان أي براعته وحذقه في مجاله

---

[31] **أغامبين، جورجيو، *ما يمكننا ألا نفعله*، ترجمة طارق عثمان، 2023، 15 كانون الأول، 2023.**
https://boringbooks.net/2023/08/agamben-what-we-can-not-do.html><

[32] **المصدر السابق، أغامبين، جورجيو، *ما يمكننا ألا نفعله*، ترجمة طارق عثمان.**

[33] **AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism*, p 19.**

[34] **المصدر السابق، ص 20.**

[35] **المصدر السابق، ص 20.**

[36] **المصدر السابق، ص 20.**

وصنعته وفي الوقت نفسه يمثل الإلهام الذي يدفع الفنان إلى الفعل المتحقق في نتاج فني أو الموهبة التي تدفع نحو العمل والتعبير، في المقابل تمثل المقاومة الإمكان على عدم الفعل أي تلك القوة التي تكبح قدرة الفنان وإلهامه وموهبته وتعطلهم بمعنى أنها تمنعهم من التجسد الكامل في الفعل. يذكر أغامبين في هذا السياق عدة أمثلة توضح آلية عمل المقاومة الداخلية أي مقاومة الإمكان على عدم الفعل وحضورها في الفعل الإبداعي أو في النتاج الفني، سنختار هنا ثلاثة أمثلة: الأول تمثل بلوحة "البشارة" للرسام الإيطالي تيتيان (1488–1576) والموجودة في كنيسة سان سلفادور في مدينة البندقية. واللوحة تجسد البشارة التي حملها الملاك جبريل للسيدة مريم، ولأن مفهوم البشارة الإلهية يستدعي الضوء والنور لذلك حضرت الألوان المعبرة عنهما في اللوحة، ولأن البشارة جاءت لإعلان ظهور المخلص وبالتالي الخلاص من الظلم والمعاناة الدنيوية الأمر الذي تطلب حضور الظلال والظلمة والألوان المعبرة عنهما، لتصبح اللوحة أشبه بمعركة بين النور والظلام. ولذلك تظهر اللوحة وكأنها مشتعلة والاشتعال نابع من هذا الصراع بين القهر الممثل بالظلال والعتمة وبين النور الإلهي الممثل بحضور الملائكة وبشكل خاص الملاك جبريل العنصر الأكثر بروزاً في اللوحة وبحضور الضوء كرمز لروح القدس الذي سيجلب النور والخلاص للبشرية المتألمة. (انظر الصورة "1")

(الصورة "1" لوحة "البشارة") [37]

ماذا رأى أغامبين في لوحة البشارة حتى عدّها مثالاً على مقاومة الإمكان على عدم الفعل؟ وجد أغامبين فيها التعبير الحقيقي عن قول دانتي بأن الفنان هو الذي لديه ملكة الفن ويد ترتجف، يكتب: «عندما نعاين هذه اللوحة الاستثنائية، لا يسعنا إلا أن نندهش من الطريقة التي يغور فيها اللون، ليس فقط في السحب التي تقبع فوق الشخصيتين، ولكن أيضاً على أجنحة الملاك، وفي الوقت نفسه، ينبجس ليبدو ذلك كله مثل صُهارة تمور، حيث "يرتجف النسيج" و"الأنوار

[37] الصورة: </https://www.meisterdrucke.ae/fine-art-prints/>

تصارع الظلال". ليس مفاجئاً أن يوقع تيتيان هذا العمل بصيغة غير معتادة "أنجزها تيتيان وأعاد إنجازها"، أي أنه أبطل إنجازها تقريباً.»[38] وقد عدّ بعض الباحثين أن توقيع تيتيان بهذه الصيغة جاء على أرضية أن هناك إضافة جديدة لاحقة على اللوحة بمعنى أن تيتيان رسم اللوحة ثم أضاف إضافات جديدة عليها، والصور الشعاعية التي كشفت وجود عبارة تدل على أنها نسخة غير مكتملة تحت العبارة التي وقع فيها اللوحة تؤكد هذا الرأي، لكن أغامبين يرفض ذلك ويكتب: «وكون الصور الشعاعية التي كشفت تحت هذه الكتابة الصيغة المعتادة "نسخة" (faciebat) لا يعني بالضرورة أننا نتعامل مع إضافة لاحقة. على العكس من ذلك، من الممكن أن يكون تيتيان قد حذفها على وجه التحديد من أجل تأكيد خصوصية عمله.»[39] والعبارة المكتوبة أسفل إناء الزهور في اللوحة تؤكد صوابية رأيه كما يجادل أغامبين ذاته، وهذه العبارة تقول: "نار مشتعلة لا تحرق" وهي تشير إلى واقعة العلّيقة المشتعلة كما هي في الكتاب المقدس وتحديداً في سفر الخروج حيث يروي هذا الأخير قصة اللقاء بين النبي موسى والتجلي الإلهي أو النور الإلهي، جاء بالنص: «وَأَمَّا موسَى فكان يرعى غنم يَثْرُونَ حَمِيهِ كاهنِ مِدْيَانَ، فقاد الغنم إِلى ما وراء الطرف الأقصى من الصّحراء حتّى جاء إِلَى حُورِيبَ جبل الله. وهناك تجلّى له ملاك الرَّبِّ بلهِيب نار من وَسطِ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظرَ موسى وَإِذَا بالْعُلَّيْقَةُ تتّقد دون أن تحترق. فَقَالَ مُوسَى: "أَمِيلُ الآنَ لأَستطلع هذَا الأمر العظيم. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟". وعندما رَأَى الرَّبُّ أَنَّ موسى قد دنا ليستطلع الأمر، نَادَاهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ قائلاً: «موسَى، موسَى!». فقال: "ها أنا".»[40] فقد تجلى الله في صورة لهيب أو نار تشتعل في شجرة شوكية ورغم ذلك لا تحترق وتحافظ على شكلها وكأنه لم يمسسها لهيب أو نار. وقد عدّت أيضاً واقعة العليقة المشتعلة والتي لا تحترق واحدة من رموز السيدة العذراء مريم في الكتاب المقدس (العهد القديم) فهي حملت بطفلها المقدس بنور إلهي (هنا رمزية: "نار مشتعلة") وبقيت عذراء (وهنا رمزية: "لا تحرق")، أي الواقعة تعبر عن سر ولادة مريم للرب يسوع المسيح مع المحافظة على عذريتها وعفتها. وتدل العبارة التي خطها تيتيان في لوحته كما يرى أغامبين على الإمكان الحاضر في الفعل، يكتب أغامبين: «من الممكن أن تكون الكتابة التي يقرأها المرء أسفل إناء الزهور "نار مشتعلة لا تحرق" – والتي تشير إلى حادثة العُلّيقة المشتعلة في الكتاب المقدس، والتي ترمز، بحسب اللاهوتيين، إلى عذرية مريم– أُدرجت من قبل تيتيان على وجه التحديد لتأكد الطابع المحدد لفعل الخلق، الذي احترق على سطح القماش دون أن يستنفد، وهو استعارة مثالية للإمكان الذي يكون في حالة اشتعال دون أن يستنفد نفسه. ولهذا السبب ترتجف يده، ولكن هذه الرجفة هي الإتقان الأسمى. ما يرتجف ويكاد يرقص في الشكل هو الإمكان: نار مشتعلة لا تحرق.»[41] والخلاصة هنا مفادها أنه إذا كان كل إمكان هو إمكان على الفعل وعلى عدم الفعل (ونذكّر هنا بأن الإمكان وعدم الإمكان مرتبطان بشكل وثيق في فكر أغامبين بحيث يمكن القول إنهما الشيء نفسه كما بيّنا سابقاً)، فإن الانتقال إلى الفعل يمكن أن يحدث فقط مع تحوّل الإمكان على عدم الفعل إلى فعل، أي حضور المقاومة المتمثلة بالقدرة على عدم الفعل في الفعل. فمقاومة الإمكان على عدم الفعل تظهر في الفعل الفني أو في النتاج الفني بوصفها ارتعاشاً داخل الفعل ذاته وهذا الارتعاش تجلى في لوحة البشارة من خلال انصهار الألوان الذي يُشعر الناظر إلى اللوحة وكأن طلاء الفرشاة كان يضرب القماش ويلحق الضرر به، وهذا ما يفسر توقيع تيتيان للوحة "أنجزها تيتيان وأعاد إنجازها" أي رسمها ومن ثم عطّلها. ففي لوحة البشارة صراع بين الدفع الذي تحرضه موهبة وبراعة تيتيان والمقاومة التي تمنع كل ذلك من التجسّد الكلي في اللوحة. والمثال الثاني هو من الحكايات الرمزية التي

[38] **AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism*, p 21.**

[39] **المصدر السابق، ص 22.**

[40] **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج، الاصحاح الثالث. التعريب: شركة ماستر ميديا، مصر، ص 134.**

[41] **AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism*, p 22.**

أبدعها كافكا (وهو أحد مرجعيات أغامبين)، وفيها يحدد كافكا كما يجادل أغامبين أن المبدع أو الفنان العظيم يُعرَّف بعدم قدرته (بعجزه) المطلقة فيما يتعلق بفنه الخاص. يقتبس أغامبين مثالاً على ذلك مقاطعاً من هذه الحكايات منها القطعة القصيرة التي تسرد اعتراف السباح العظيم، تقول: «صحيح أنني حققت رقماً قياسياً عالمياً، لكن إذا سألتني كيف حققت ذلك، فلن أتمكن من إجابتك بما يرضيك. في الواقع، لا يمكنني حتى السباحة. لطالما أردت التعلم، لكن لم تتح لي الفرصة أبداً.»[42] فهنا تشكيك واضح بالفهم الشائع الذي يرى أن على الإمكان على عدم الفعل أن يلغي نفسه حتى يعبر الإمكان إلى الفعل، فكما يظهر في قطعة كافكا أن عدم الإمكان لا يلغي نفسه بل يبقى حاضراً في الفعل بوصفه مقاومة داخلية تمنع استنفاد الإمكان في الفعل وتجبره على الارتداد إلى ذاته، فإمكان عدم السباحة هو مقاومة داخلية للإمكان على السباحة، فهي تمنع هذا الأخير من أن يكون مستنفداً في الفعل، وتدفعه إلى أن يرتد إلى ذاته، ليغدو إمكان الإمكان، أي أن يكون قادراً على عدم إمكانه الخاص. وبهذه العملية تنفجر الطاقة الإبداعية، ومن هنا حطم السباح رقما قياسياً عالمياً وغدا سباحاً عظيماً. وهذا الفهم عند أغامبين ظهر جلياً عندما قرأ علاقة القوة (الإمكان) والفعل عند أرسطو في كتابه "السلطة السيادية والحياة العارية، يكتب: «الممكن لا يمكنه المرور إلى الفعل إلا بتخلّيه عن قوّته على أن لا يكون (عدم قوّته). هذا التخلّي عن عدم القوّة لا يعني إتلافها بل هو يشكّل على العكس من ذلك إتمامها والكيفية التي تلتفت بها القوّة إلى ذاتها لـ "تنعطي لذاتها"»[43]. والمثال الثالث يتمثل بقول إحدى نساء شعب النافاجو (Navajo) وهو من الشعوب الأمريكية الأصلية في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية ويشتهر بصناعة المنسوجات التقليدية (انظر الصورة 2).

(الصورة 2: من منتوجات شعب نافاجو التقليدية)[44]

تقول امرأة من شعب النافاجو (كما ينقل أغامبين) بـ«أنها تفضل ترك شيء من النقص [الخلل] في النسيج الذي تنسجه حتى لا تبقى سجينة فيه، فلو أنها لم تترك شائبة في القطعة المنسوجة لما كان هناك مخرج لها، وستبقى في السجن.»[45] وهذا مثال على أن الإتقان ليس كمالاً شكلياً، بل هو احتفاظ بالنقص في الفعل، فعلى الفنان والمبدع أن يحافظا على النقص في نتاجهما، بمعنى أن حضور النقص دليل وجود مقاومة داخلية من جهة ويعني من جهة أخرى

[42] AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism*, p 22.

[43] أغامبين، جورجيو. *المنبوذ السلطة السيادية والحياة العارية*، ص 69.

[44] الصورة: https://mfastpete.org/exh/color-riot/> <

[45] AGAMBEN, G. *Resistance in Art*, 2018, 30 July, 2022. <https://zhuanlan.zhihu.com/p/34322971>

أن الفعل والنتاج ليس تطبيقاً لوصفة أو أمر خارجي. وإذا قاربنا ذلك شعرياً فإن المقاومة في القول الشعري تتجلى في كبح الظهور الكلي للمعنى والتفات لغير المرئيّ وحضور للتعبير الغامض وحجب للقول وباختصار المقاومة في الشعر تتجلى بأن يومئ الشاعر للمعنى ولا يقربُهُ [46]، وبمعنى آخر على القصيدة أن يشتعل فيها المعنى دون أن يحترق وأن تحافظ على النقص في الشكل المثالي. فالاشتعال الذي لا يحرق هو نتاج مقاومة داخل المبدع أو الفنان أو الأديب التي تظهر ليس قبل النتاج، بل داخله ومن خلاله.

السؤال المطروح الآن عن الكيفية التي تواجه فيها هذه المقاومة الداخلية أي مقاومة الإمكان على عدم الفعل سلطة الأجهزة الرأسمالية؟ حوّلت الرأسمالية عبر أجهزتها الثقافة إلى بضاعة والفن إلى تجارة أي قامت بعملية تسليع للفن والثقافة، وبالتالي الحاضر فنياً وثقافياً هو ما تريده هذه التجارة، فقد تحوّل العمل الفني والثقافي إلى استجابة لطلب يفرضه السوق، وتنفيذ لوصفة يأمر بها السوق، فغدا العمل الفني والثقافي عبارة عن انتقال سلس من ذهن المثقف والفنان إلى التنفيذ والتطبيق العملي بغياب واضح للمقاومة المتمثلة بالقوة على عدم الفعل، وهذه الأخيرة لا يمكن أن تقبل أي وصفة أو طلب من أي جهة كانت لأنها نابعة من الداخل، أي من داخل الفرد المبدع القادر على تجسيدها بالفعل بعيداً عن أي توصيات خارجية. فعندما يلبي الفن أو الثقافة طلباً خارجياً نكون أمام انتقال أعمى من الإمكان (القوة) إلى الفعل فينحط الفن وتغيب فعالية الثقافة التغييرية ويغيب بُعد الإمكان في الفعل بشكليه القوة على الفعل وعلى عدم الفعل الذي هو عند أغامبين الأساس المحدد للإنسان وحريته. وهدف أجهزة الرأسمالية هو قتل بعد الإمكان وخاصة الإمكان على عدم الفعل لأن في ذلك تحقق لسيطرتها وديمومتها. وتتجلى فعالية المقاومة الداخلية في مواجهة عمليات الانفصال التي تمارسها الأجهزة من خلال امتلاك الفرد الإمكان بشكليه القوة على الفعل وعلى عدم الفعل، فحضوره داخل الفرد سيمنع الأجهزة الرأسمالية من السيطرة عليه وإخضاعه أو سيعطل قدرتها على تشكيل ذاته وإخضاعها، فهذا الامتلاك للإمكان يخلق شخصية قوية قادرة على تعطيل الأجهزة أو على وقف العمل وفق الأوامر التي تفرضها الأجهزة بطريقة خفية لا تظهر عنفها وتسلطها. لنأخذ مثلاً التكنولوجيا الحديثة وخاصة الهواتف الخلوية وما تتضمنه من تقنيات الاتصال المتعلقة بوسائل التواصل الاجتماعي، فهي كما نشهد ذلك بالواقع تأسر المستخدم وتفصله عن حياته وواقعه المعيش ليعيش في مجال منفصل ومحدد من قبل الأجهزة الرأسمالية، فيغدو خاضعاً بطريقة غير واعية لمخططات الأجهزة وغاياتها، ولكن إذا استطاع الفرد أن يمتلك إمكانه على الفعل وعلى عدم الفعل سيعطل قدرة الأجهزة على السيطرة الناعمة عليه، وهنا يستطيع بهذا الامتلاك أن يعيد ما تم حجزه وفصله في إطار محدد من قبل الأجهزة إلى الاستعمال المفتوح والحر.

- **المقاومة الخارجية:**

قد بيّنا سابقاً أن أغامبين عدّ الرأسمالية ديناً لأنها تقوم على آلية تعمم عمليات الانفصال، وهذه الأخيرة تعني هنا استئصال الأشياء والموضوعات والكائنات من الاستعمال العام والحر إلى مجال منفصل. والسبيل لمقاومة كل شكل من أشكال الانفصال هو التدنيس، فما هي ماهية المقاومة بالتدنيس؟

---

[46] ينظر نص الشاعر شوقي بزيع الموسوم "الشاعر" في ديوانه "*كأني غريبك بين النساء*" دار الآداب، بيروت، ط2، 2002، ص 5، 6. [يكتب شوقي بزيع في نصه "الشاعر": دائماً يكتُبُ ما يجهلُهُ / دائماً يتبع سهماً غيرَ مرئيٍّ / ونهراً لا يرى أوّلهُ / هائماً في كلِّ وادٍ ينهر الأشباح كالماعز عن أقبية الروح [...] مقيمٌ أبداً في شُبهةِ البيتِ / ولا بيت لهُ / كلما همَّ بأن يوضح يزداد غموضاً / وبأن يُفصحَ يزداد التباساً، والذي يكتبُهُ يَحجُبُهُ / هو يدري أن بعض الظنِّ إثمٌ / ولذا / يومئ للمعنى ولا يَقرَبُهُ...]

ينطلق أغامبين في تحديد مفهوم التدنيس من تحديدات فقهاء القانون الرومان، يكتب: «كان فقهاء القانون الرومان يعرفون على نحو تام وإلى حد بعيد ما يعنيه "التدنيس". كانت الأشياء المقدسة أو الدينية هي التي تنتمي بطريقة ما إلى الآلهة. على هذا النحو، انتزعت من الاستعمال الحر والتبادل التجاري بين الناس؛ فلا يمكن أن تباع أو تحتبس كرهن، ولا تُعطى كاستثمار ولا تُقيّد بحقّ ارتِفاق. وكان الفعل التدنيسي هو أي فعل ينتهك أو يتعدى على هذه الأشياء الخاصة وغير المتاحة، والتي حُجزت حصرياً للآلهة»[47] وبالتالي إذا كان الدين يقوم على التقديس الذي هو انتزاع للأشياء والموضوعات والكائنات من مجال القانون البشري فإن التدنيس مهمته هو إعادة ذلك كله إلى الاستعمال العام والحر، وإذا كان الدين يقوم على التمايز بين الآلهة والبشر –كما بيّنا ذلك سابقاً– فليس الكفر بالتالي هو ما يتعارض مع الدين، بل التدنيس القائم على "الإهمال" أو الهجر، أي السلوك الحر المتحرر من القواعد الدينية الذي يتجاهل الانفصال، أو بالأحرى، يضع ما جرى فصله في فضاء استعمالات مفتوحة وحرة[48]. ومن أهم أشكال التدنيس عند أغامبين هو اللعب، يكتب: «يمكن الانتقال من المقدس إلى المدنس أن يحدث في الواقع بواسطة الاستعمال غير الملائم كلياً (أو بالأحرى إعادة الاستعمال) للمقدس: أي اللعب.»[49] ونجد التجلّي الأولي للتدنيس باللعب عند الأطفال، «الذين يلعبون بأي شيء قديم يقع في أيديهم، ويبتكرون ألعاباً من أشياء تنتمي أيضاً إلى مجالات الاقتصاد والحرب والقانون وغيرها من الأنشطة التي اعتدنا على التفكير فيها على أنها جدية. وفجأة، تتحول السيارة أو السلاح الناري أو العقد القانوني إلى لعبة.»[50] أي أن الطفل في لعبه يكسر المجال الذي حُجّرت فيه الموضوعات في مجال منفصل ويعيد استعمال هذه الموضوعات في فضاءات متعددة بعيداً عن مجالها المحدد. فالتدنيس باللعب هو استعمال جديد يلغي الاستخدام المرتبط بالشيء الذي يجري اللعب به والذي كان متموضعاً قبل اللعب في مجال استخدام محدد وبغاية معينة، أي يجعل اللعب غاية استخدام الشيء التي كانت قبل اللعب معطلة. فالمقاومة بالتدنيس بنهاية التحليل هدفها تحرير إمكانات الاستعمال العام والحر التي سُجنت وانتهكت من قبل أجهزة الرأسمالية. وهذا التحرير يجري بواسطة التعطيل وهذا الأخير ليس هدفه إلغاء الانفصال ومحوه، بل هدفه أن نتعلم كيف نستعملها بشكل جديد بعيداً عن استخدامات الأجهزة، يكتب أغامبين بخصوص المجتمع الشيوعي: «إن المجتمع اللاطبقي ليس المجتمع الذي ألغى الاختلافات الطبقية وفقد كل ذكرى عنها، بل هو المجتمع الذي تعلم كيفية تعطيل أجهزة تلك الاختلافات من أجل جعل الاستعمال الجديد ممكناً، ومن أجل تحويلها إلى وسائل محضة»[51]. ولكي لا يخلط القارئ بين التدنيس والعلمانية وضح أغامبين أن هناك فرقاً بينهما ففعل التدنيس يعطل الانفصال بوصفه جوهراً دينياً ويعيده إلى الاستعمال العام في حين العلمانية «لا تفعل شيئاً سوى استبدال الملكية السماوية بملكية أرضية، مع ترك سلطتها سليمة.»[52] أي تترك ما تتعامل معه سليماً ولكن تقلبه فحسب. والحال أن أجهزة الرأسمالية بوصفها ديناً أدركت خطورة التدنيس واللعب لذلك عملت ليس فقط على انتزاع الأشياء والموضوعات من الاستعمال العام إلى مجال منفصل، بل عملت أيضاً على منع أي محاولة لتدنيسها أو اللعب فيها. ما هي هذه الآليات التي اتبعها دين الرأسمالية لمنع التدنيس؟ نستطيع أن نحدد هذه الآليات بمفهومين أساسيين مترابطين يحددان دين الرأسمالية: استحالة الاستعمال – متحفة العالم.

[47] **AGAMBEN, G. *Profanations*, p 73.**

[48] **المصدر السابق، ص 75.**

[49] **المصدر السابق، ص 75.**

[50] **المصدر السابق، ص 76.**

[51] **المصدر السابق، ص 87.**

[52] **المصدر السابق، ص 77.**

- استحالة الاستعمال (The impossibility of using)

يرى أغامبين أن الرأسمالية تعمم في كل مجال بنية الفصل التي تحدد الدين، فمع الرأسمالية نحن أمام «عملية انفصال واحدة ومتعددة الأشكال ومتواصلة تهاجم كل شيء وكل مكان وكل نشاط بشري من أجل فصله عن نفسه»[53] وهذا التعميم للانفصال غرضه الوصول إلى استحالة الاستعمال، وبلغة ماركسية جرى طمس القيمة الاستعمالية وحضور كاسح للقيمة التبادلية، فمع توسع نطاق التسليع جرى تدمير الاستعمال الطبيعي، لأن هذا الأخير يشترط نفي الملكية، فالاستعمال الحقيقي هو استعمال لشيء لا يمكن تملكه، وفي الرأسمالية لا يمكن أن تستخدم أي شيء قبل تملكه، فالشرط الأساس للاستخدام في الرأسمالية هو التملك، والملكية ليست سوى أداة تنقل الاستعمال الحر للناس إلى مجال منفصل، وعندها يتحول إلى حق. لذلك حل الاستهلاك كبديل عن الاستعمال. وهذا ما يفسر كما يجادل أغامبين عدم سعادة الناس في المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي، فهم محرومون من الاستعمال أي غير قادرين على التدنيس لأن الاستهلاك يدمر الاستعمال العام والحر[54].

- متحفة العالم (The museification)

يرى أغامبين أن استحالة الاستعمال تجد أنموذجها الرمزي في المتحف، يكتب: «إن متحفة العالم هي اليوم واقع منجز. فقد انسحبت الإمكانات الروحية التي حددت حياة الناس – الفن، والدين، والفلسفة، وفكرة الطبيعة، وحتى السياسة – بسلاسة واحدة تلو الأخرى إلى المتحف.»[55] والمتحف هنا ليس بمكان محدد أو فضاء مادي محدد بل ذلك البعد المنفصل الذي انتقلت إليه كل المفاهيم والموضوعات والأفكار والأشياء والأشخاص التي كانت متاحة للاستعمال العام والحر قبل أن تأسرها الأجهزة وتفصلها في مجال مغلق وقبل أن تجعل لها غايات محددة، يكتب أغامبين: «يمكن أن يتطابق المتحف مع مدينة بأكملها (مثل إيفورا والبندقية، حيث أعلنتا كمواقع للتراث العالمي)، ومنطقة (عندما تُعلن حديقة أو محمية طبيعية)، وحتى مع مجموعة من الأفراد (بقدر ما إنهم يمثلون شكلاً من أشكال الحياة التي اختفت).»[56] ويبين أغامبين أنه مع المتحف أصبح التشابه بين الرأسمالية والدين واضحاً، فـ«يحتل المتحف بالضبط المساحة والوظيفة التي كانت مخصصة للمعبد كمكان للتضحية [...] والحجاج الذين يسافرون عبر الأرض من معبد إلى معبد [...] يقابلون اليوم السياح الذين يسافرون بلا هوادة في عالم جرى تحويله إلى متحف.»[57] ولكن الخلاف بين المؤمنين (المسيحيين مثلاً) وأتباع دين الرأسمالية، في أن المؤمنين «غرباء على الأرض، لأن وطنهم في السماء، في حين أتباع العبادة الرأسمالية الجديدة ليس لهم وطن لأنهم يسكنون في شكل الانفصال الخالص. أينما ذهبوا، وجدوا نفس استحالة السكن التي عرفوها في منازلهم ومدنهم، ونفس عدم القدرة على الاستعمال الذي عاشوه في السوبر ماركت، وفي مراكز التسوق، وفي البرامج التلفزيونية»[58].

الخلاصة التي تتوضح هنا هو أن هناك عدم قدرة على التدنيس واللعب لأن دين الرأسمالية استطاع أن يحبط قدرتهما من خلال استحالة الاستعمال ومتحفة العالم اللذين حققهما جهاز الملكية وأداته الاستهلاك، فما هو الحل برأي أغامبين حتى نستطيع أن نقاوم بالتدنيس سلطة الأجهزة الرأسمالية، ولا سيما أن دين الرأسمالية جعل كل الأشياء والموضوعات

[53] **AGAMBEN, G. *Profanations*, p 83.**

[54] **المصدر السابق، ص 83.**
[55] **المصدر السابق، ص 83، 84.**
[56] **المصدر السابق، ص 84.**
[57] **المصدر السابق، ص 84،**
[58] **المصدر السابق، ص 84، 85.**

غير قابلة للتدنيس أي عمل على تعطيل الهدف التدنيسي الأصلي وتحييده؟ هنا أغامبين يذكر عدة أمثلة*عن كيفية عمل أجهزة الرأسمالية بوصفها ديناً في تحويل كل شيء إلى موضوعات غير قابلة للتدنيس وفقط في مثال واحد لمّح في سياق عرضه عن إمكانية تدنيس ذلك الذي حولته الرأسمالية إلى موضوع غير قابل للتدنيس، والمثال يرتبط بكيفية وصول عملية الانفصال إلى داخل الجسد ووظائفه، يكتب: «تجري ممارسة الانفصال [...] في مجال الجسد، مثل إخضاع وفصل وظائف فيزيولوجية معينة. أحد هذه الوظائف هو التغوط، الذي يجري تقييده في مجتمعنا وعزله بواسطة سلسلة من الإجراءات والمحظورات التي تتعلق بالسلوك واللغة.»[59] ويتساءل في هذا السياق حول معنى فعل تدنيس التغوط؟ ليجيب بأن هدف التدنيس هنا «أن نتعلم استعمالاً جديداً للتغوط تماما كما حاول الأطفال أن يفعلوا بطريقتهم الخاصة، قبل أن يتدخل القمع والانفصال.»[60] وفي سياق عرض المثال ذاته يخلص إلى فكرة مهمة مفادها أن التدنيس أي ابتداع أشكال جديدة للاستعمال العام لا يمكن أن يحصل إلا بشكل جماعي، وبالتالي لا يمكن إنتاج استعمالات جديدة للتغوط إلا بشكل جمعي «لهذا السبب فإن كل محاولة فردية لتدنيسه لا يمكن أن يكون لها سوى قيمة محاكاة ساخرة، كما هو الحال في مشهد حفلة عشاء التغوط حول طاولة الطعام في فيلم لويس بونويل.»[61] وهنا يذكّر أغامبين بمشهد مركزي في فيلم "شبح الحرية" إنتاج عام 1974، وهو من كتابة وإخراج لويس بونويل، وهو فيلم ساخر وناقد للرأسمالية، يتضمن نقداً تهكمياً للفهم البرجوازي للجسد الإنساني وللبيئة الطبيعية. والمشهد يصور طاولة طعام محاطة بالمراحيض يجلس عليها مجموعة من أبناء المجتمع الرأسمالي يتبادلون الحديث ويتصرفون كما لو أن التغوط حول طاولة الطعام أمر طبيعي تماماً، وفي المقابل تصبح الغرفة الخاصة للتغوط مكاناً لتناول الطعام (انظر الصورة 3).

(الصورة 3 "المشهد المركزي في فيلم "شبح الحرية" "The Phantom of Liberty")[62]

لذلك عدّ أغامبين أن المشهد يعبّر عن فعل تدنيسي، ولكن لأنه ليس نتاجاً لفعل جمعي فهو لذلك غير ناجع في فتح استعمالات جديدة للتغوط، ولكنه يقدم محاكاة ساخرة تطرح المشكلة، وهذا أمر مهم لأنه يضيء على مشكلات تبدو غير مؤثرة للوهلة الأولى. وعلينا أن نُذكّر من يستهجن مثال أغامبين هنا أن مسألة التغوط تشغل الإنسان فترة طويلة من مراحل طفولته وفيها يعاني الإنسان (الطفل) الآلام نتيجة القمع والقهر الذي يناله في سبيل ضبط هذا الفعل وفق

*** يُنظر بخصوص الأمثلة فصل "في مديح التدنيس" في كتاب أغامبين "تدنيسات" (Profanations) الترجمة الإنكليزية والذي اعتمدنا عليه هنا بخصوص مفهوم المقاومة بالتدنيس، ويُنظر مقالة الكاتب والمترجم "طارق عثمان" الموسومة "استيهامات ماركسية: أغامبين في وادي البورنو" ففيها عرض واضح لمعظم الأمثلة التي لم نذكرها في بحثنا بالإضافة لعرض وشرح لفكرة الشيوعية في كتاب أغامبين "فكرة النثر" وهي منشورة على موقع "نماء" قسم الترجمات. (https://nama-center.com/articles/details/41076)**

[59] AGAMBEN, G. *Profanations*, p 86.

[60] المصدر السابق، ص 86.

[61] المصدر السابق، ص 86، 87.

[62] الصورة: https://www.flickr.com/photos/

معايير تحددها الأجهزة من خلال الوالدين أو من يحلّ مكانهما. وبالرغم أن أغامبين طرح مسألة التغوط كرمز فقط لما جرى فصله ويمكن إعادته للاستعمال العام، إلا أنه تبقى كيفية تعلم استعمالات جديدة بهذا الخصوص غامضة في نص أغامبين سواء في هذا المثال أو في غيره. وربما ليس من مهمة الفيلسوف طرح الحلول الواضحة، فالفيلسوف عليه أن يطرح الأسئلة والمشكلات ويومئ بالحلول لا أكثر. وعموما لا يطرح أغامبين أي مثال أو حالة واقعية اجتماعية واضحة عن القدرة على تدنيس ما هو غير قابل للتدنيس ويكتفي بجعلها مهمة سياسية جماعية للأجيال القادمة، يكتب: «يجب علينا دائمًا أن ننتزع من الأجهزة – من جميع الأجهزة – إمكانية الاستعمال التي استولت عليها. إن تدنيس غير القابل للتدنيس هو المهمة السياسية للجيل القادم»[63].

الاستنتاجات والتوصيات

بات واضحاً أن غرض المقاومة سواء أكانت داخلية أم خارجية عند أغامبين هو تعطيل الأجهزة الرأسمالية التي تأسر وتوجه وتضبط سلوكيات وآراء وخطابات وأعمال البشر، وهذا التعطيل يهدف بدوره إلى استعادة البعد الأصيل للإنسان الذي يميزه عن بقية الكائنات ألا وهو بُعد الإمكان وخاصة بشكله الإمكان على عدم الفعل، فالإمكان الإنساني عند أغامبين أقوى من أي إمكان ممكن أن نلمسه عند الكائنات الأخرى لأنه يمكن أن يظل مرتبطاً بعدم وجوده الخاص. ولكن يبقى السؤال هنا كيف يكون التعطيل ناجعاً إذا لم نقترب من مسألة الشروط الاجتماعية والاقتصادية التي تشرط كل أنماط السلوك، بمعنى إذا لم نستطع تغيير هذه الشروط لا نستطيع أن نتجاوز الرأسمالية نحو أفق يحرر إمكانات الإنسان ويحقق حريته، ونحن عرفنا من خلال رحلة بحثنا أن المقاومة الخارجية ليس من مهامها محو الانفصال وإزالته بل مجرد تعطيل الأجهزة التي تُنتج هذا الانفصال، أي لا يوجد مس بالشروط الاجتماعية الاقتصادية، وشهدنا أيضاً غياباً واضحاً للمسألة الاقتصادية أي غياباً للاقتصاد السياسي في أطروحة أغامبين، ولا شك أننا نتعامل مع فيلسوف ولسنا أمام عالم اقتصاد أو باحث في الاقتصاد السياسي ولكن نرى أن أي نقد للرأسمالية مفصول عن نقد الاقتصاد السياسي لا بد أن يغرق في نمذجة لآلية عمل الأجهزة الرأسمالية بمعنى آخر نكون أمام تجريد يبعدنا عن الواقع. وهذا ينطبق بشكل خاص على المقاومة الخارجية*، في المقابل نجد أن المقاومة الداخلية فاعلة جداً وخاصة في ميدان الفن والأدب والشعر لأنها تبعد هذه الأشكال كلها عن الوظيفية، أي تجعلها بعيدة عن أي دعوة إيديولوجية –سواء أكانت دينية أم علمانية– حتى ولو كان الفنان أو الأديب منتمياً إلى هذه الأيديولوجيا أو تلك، فمقاومة الإمكان على عدم الفعل تثوّر العمل الفني والأدبي والشعري من داخله، فالفن ليس مهمته إرضاء الجمهور ولا يجب أن يسعى لتنفيذ توصيات ومتطلبات السوق، بل يجب أن يكون نتاج مقاومة داخلية وبهذا يكون أكثر قرباً من قضايا الناس والمجتمع لكونه مع هذه المقاومة ينشر الجمال الذي يحارب التعفن الذي قد ينتشر في أي مجتمع، وكذلك المقاومة الداخلية بالمعنى الذي أسس له أغامبين تمنع الأدب أو الفن من أن يتحول إلى نقل تسجيلي لما يجري في الواقع، وتجعله يقارب الواقع ليس بشكل مباشر وإنما من خلال توليد قراءة جديدة له. ونستطيع أن نقول بنهاية رحلة بحثنا إن مفهوم المقاومة عند أغامبين يستطيع أن يزودنا بعدة مفاهيمية قادرة على أن تسهم في تشكيل نظرية جديدة للمقاومة نحتاجها نحن العرب

[63] **AGAMBEN, G. *Profanations*, p 92.**

*** اقتصرنا هنا على شكل واحد من أشكال المقاومة الخارجية عند أغامبين، فهناك أشكال أخرى لم نناقشها هنا لضرورات تتعلق بشروط البحث وحدوده، نذكر هنا على سبيل المثال مفهوم "شكل الحياة" (Form-of- life) فقد خصص له أغامبين أكثر من كتاب لشرحه ككتاب "الفقر الأسمى" وكتاب "استعمال الأجساد" وكتاب "وسائل بلا غاية". ودون أن ننسى هنا أن مناقشة مفهوم "شكل الحياة" يحتاج عودة إلى "حالة الاستثناء" التي خصص لها أغامبين أيضاً أكثر من كتاب ونص لتفكيكها. (اقتضى التنويه).**

في سبيل مواجهة مشكلاتنا الفكرية والثقافية والفنية والسياسية وقادرة على الأقل بأن تمدنا بمفاهيم تساعد في الصمود خاصة أننا في عصر السيطرة الكاملة للأجهزة الرأسمالية وفي الوقت نفسه عصر الانكسار والانحطاط لقوى التحرر العربية والعالمية.

- **المصادر باللغة العربية:**

1- أغامبين، جورجيو، حالة الاستثناء، ترجمة: ناصر إسماعيل، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ط1، 2015.

- Agamben, Giorgio, The State of Exception, translated by: Nasser Ismail, Madarat Research and Publishing, Egypt, 2015.

2- أغامبين، جورجيو. ما الجهاز؟ وبحوث أخرى، ترجمة الحبيب الواعي، دار الليبرالية، برلين، ط1، 2022م.

- Agamben, Giorgio. What device? And other research, translated by Al-Habib Al-Wa'i, Liberal House, Berlin, 2022.

3- أغامبين، جورجيو، المنبوذ السلطة السيادية والحياة العارية، ترجمة عبد العزيز العيادي، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2017.

- Agamben, Giorgio, The Outcast, Sovereign Power and Bare Life, translated by Abdel Aziz Al-Ayadi, Al-Jamal Publications, Beirut, 2017.

- **المراجع باللغة العربية**

1- أرسطو، الميتافيزيقا "ما وراء الطبيعة"، ترجمة محيي الدين محمد مطاوع، تقديم: مصطفى النشار، دار صفصافة، الجيزة، مصر، ط1، 2022م.

- Aristotle, Metaphysics "Beyond Nature", translated by Mohieddin Muhammad Mutawa, presented by: Mustafa Al-Nashar, Dar Safsafa, Giza, Egypt, 2022.

2- ألتوسير، لويس، تأهيل إلى الفلسفة للذين ليسوا بفلاسفة، ترجمة: الياس شاكر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2017.

- Althusser, Lewis, Preparation for Philosophy for Those Who Are Not Philosophers, translated by: Elias Shaker, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st edition, 2017.

3- بزيع، شوقي، كأني غريبك بين النساء، دار الآداب، بيروت، ط2، 2002.

- Bazi', Shawqi, as if I were your stranger among women, Dar Al-Adab, Beirut, 2nd edition, 2002.

4- شحيّد، جمال، في البنيوية التكوينيّة دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار التكوين، دمشق، ط1، 2013.

- Shaheed, Jamal, on formative structuralism, a study in the Lucian Goldman method, Dar Al-Takween, Damascus, 2013.

5- فوكو، ميشيل، المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م.

- Foucault, Michel, Surveillance and Punishment, The Birth of the Prison, translated by Ali Muqallid, reviewed and presented by Mutaa Al-Safadi, National Development Center, Beirut, 1990.

6- ماركس، كارل، رأس المال، المجلد الأول عملية إنتاج رأس المال، ترجمة فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2013.

- Marx, Karl, Capital, Volume One, The Process of Production of Capital, translated by Faleh Abdul-Jabbar, Dar Al-Farabi, Beirut, 2013.
-

- **المواقع الإلكترونية باللغة العربية:**

1-أغامبين، جورجيو، *ما يمكننا ألا نفعله*، ترجمة طارق عثمان، 2023، 15 كانون الأول، 2023.

<>https://boringbooks.net/2023/08/agamben-what-we-can-not-do.html

- **المواقع الإلكترونية باللغة الإنكليزية:**

1- AGAMBEN, G. *Resistance in Art*, 2018, 30 July, 2022.
< https://zhuanlan.zhihu.com/p/34322971>

- **المصادر باللغة الإنكليزية:**

1- AGAMBEN, G. *CREATION AND ANARCHY The Work of Art and the Religion of Capitalism*, Translated by Adam Kotskom, Stanford University Press, Stanford, California, 2019.
2- AGAMBEN, G. *Profanations*, translated by Jeff Fort, Zone Books, New York, 2007.
3- AGAMBEN, G. *Potentialities Collected Essays in Philosophy*, translated By Daniel Heller, Stanford University Press, Stanford, California, 1999.